AUB LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

AUB LIBRARY

CA
304.82
H969nA
1950
C.1

نصف لبنان

تقرير عام موجز عن شطرنا المغترب في أميركا
كما عرفته في رحلة قمت بها في السنة ١٩٤٧
واستغرقت سنتين ونصف السنة

بقلم

عبد الله حشيمه

صاحب مجلة العرائس
ورئيس دائرة المغتربين في وزارة الشؤون الخارجية سابقاً

١٩٥٠

نصف لبنان

تقرير عام موجز عن شطرنا المغترب في أميركا
كما عرفته في رحلة قمت بها في السنة ١٩٤٧
واستغرقت سنتين ونصف السنة

بقلم

عبد الله حشيمه

صاحب مجلة العرائس
ورئيس دائرة المغتربين في وزارة الشؤون الخارجية سابقاً

١٩٥٠

تقدمة

الى صديقي الشيخ هنري
الجميل قنصل ليبريا العام في
لبنان والمغترب الذي ما يزال
منذ ربع قرن يواصل الجهاد
في سبيل المغتربين أقدم هذا
التقرير .

عبدالله

L: 45-17741

بيـــان

هذا التقرير الذي ارفعه الآن الى المراجع الرسمية في الحكومة والى الصحافة والرأي العام في الوطن والمغترب ، هو خلاصة ابحاث ودروس قضيت عامين ونصف العام في جمعها وتمحيصها واستخراج الحقائق ذات الافادة منها .

ولم افعل ذلك في مكتبي ـ تحت سماء لبنان الصافية ـ بل قمت له برحلة طويلة شاقة في الاميركتين ، حيث اتصلت بشطرنا المغترب اتصالا وثيقاً عرفت في خلاله ما أود معرفته من حالات ذلك الشطر الكريم وحاجاته ومطالبه ، ودونته في مذكرات لو اردت نشرها والوثائق التي تعززها وتثبتها لضاقت عنها المجلدات العديدة .

واعترف بان المغتربين الاسخياء قد عطفوا عطفاً طيباً على الغاية التي توخيتها من عملي ، وقدموا لي بعض الاعانات المادية التي ساعدتني على القيام برحلتي ، ولكن ظروفاً عديدة قاهرة جعلت اعاناتهم لي محدودة ، فكان ما بقي منها ـ بعد عودي الى الوطن ـ غير كاف لجمع معلوماتي في مؤلف وعدت به نفسي ومن اتصلت بهم من مغتربينا ، وكنت احلم بان ازفه الى المكتبة العربية كسفر نفيس لن يقدم على المغامرة في سبيله « مجنون » آخر مثلي .

اقول هذا وانا اشعر اليوم بان مغامرتي تلك كانت مغامرة

جنونية ، لان العمل الذي وضعته نصب عيني من وراء القيام بها يتطلب مجهوداً ـ بخاصة من الناحية المادية ـ فوق مقدرة فرد ليس له غير عزيمته وايمانه بصدق رسالته الادبية ما يمكنه الاعتماد عليه في تجشم اخطارها وتذليل مصاعبها .

وكثيرون من المغتربين انفسهم لم يصدقوا اني جاد في عملي ، وبخاصة لانهم تعودوا ان يروا بعض من يدعي الأدب والجهاد الوطني يطرق ابوابهم مستعطياً ، بحيث اصبح اسم الاديب عندهم مرادفاً لاسم « الشحاذ » واحياناً « النصاب » .

وقد أمضني ذلك وآلمني كثيراً ، ولكن الايمان الذي احمله في صدري كان اقوى من ان تؤثر فيه الصدمات على اختلافها ، وعلى هذا تابعت رحلتي واصلا النهار بالليل في سبيل الوصول الى نهايتها ، وكنت ارجو ان اجد ـ في النهاية ـ من يقدر عملي وجهادي الادبي والوطني هنا ، وفي المقدمة اولياء الامر ممن يغارون على وصل ما انقطع من الصلات بيننا وبين شطرنا المغترب ، فاجد لديه الاعانة الاخيرة التي تضمن لي اخراج « وليدي الادبي » الجديد الى الدنيا بما يساعد على جمع الشمل في سبيل المصلحة الوطنية العليا .

وعلى رجائي هذا عدت ورفعت التقرير الذي انشره اليوم الى وزارة الشؤون الخارجية والمغتربين ، وتقريري هذا بموضوعاته المختلفة صورة مصغرة للدروس الرئيسية التي يحتويها مؤلفي عن مغتربينا ، ويلاحظ القاريء ان هذه الدروس ليست اعتباطية سطحية ، فهي اذا

نشرت بتفاصيلها ومتفرعاتها والشواهد العيانية والسماعية عليها تؤلف موسوعة لا غنى عنها لمعرفة شطرنا المغترب معرفة عميقة ، فضلا عن الواجبات التي علينا وعلى ذلك الشطر العزيز القيام بها لاستكمال اسباب وحدتنا القومية .

واتصلت في الوقت نفسه ببعض المراجع العالية ، راغباً في ان يكون لي نصيب من الاعانات التي تعودت الحكومة منحها ارباب الاقلام ، مبيناً ان المؤلف الذي اطلب الاعانة لاخراجه ليس مؤلفاً عادياً وان بقاء صفحاته مطوية لعجزي المادي عن نشرها يضر بي وبسمعة الحكومة في آن واحد .

اما انا فالضرر الذي يصيبني مرده الى الوعود التي قطعتها لنفسي وللمغتربين وللاوساط الادبية بنشر مؤلفي المذكور ، فعدم نشر هذا المؤلف يضعف الثقة بي ويجعل المغتربين ـ بنوع خاص ـ يعتقدون اني كسائر « الادباء » الذين طرقوا ابوابهم ، مدعين انهم يؤدون رسالة معينة للادب ثم راحوا وانقطعت اخبارهم واخبار رسالتهم ، وهذا ما لا اطيق احتماله بعد ثلاثين عاماً قضيتها مجاهداً في سبيل رسالتي وكرامتي الادبية .

واما الحكومة فالمغتربون الذين يرونها ويسمعونها تجاهر بكونهم شطر البلاد الاعز ، وبان كل غال يرخص في سبيل الاعتراف بهم وتقريبهم والاستفادة من مواهبهم وامكاناتهم المختلفة ، يسؤهم ـ ولا شك ـ ان يضع اديب عرفوه مؤلفاً فيه خلاصة طيبة عن حالاتهم

وما آتيهم وتفكيرهم القومي والوطني، وعن استعدادهم الحار للمساهمة في بناء نهضة الوطن الحاضرة، يسؤهم اجل ان يضع اديب مثل هـذا المؤلف ويطلب من الحكومة ان تساهم في نشره ولا يستجاب طلبه.

وما كان الخوف من ذلك ليخامرني لولا ان اتصالاتي بالمراجع الحكومية، وفي مقدمتها « وزارة الشؤون الخارجية والمغتربين » لم تأت الى الآن بافادة، فانا اخاف ان اصبر بعد ثم اصبر ويقال لي في الآخر: « ليس لك ولمؤلفك عندنا نصيب » وأود ان احتاط منذ الآن للامر فاقول اولا لشطرنا المغترب:

ايها الشطر الكريم العزيز.

ان منزلتك عندي كمنزلة نفسي مني، ولولا ذلك لما خاطرت بكل شيء لأعرفك عن كثب، ولأضمخ وجه التاريخ وعهدنا الاستقلالي الحاضر بطيب ما آتيك.

والمؤلف الذي وعدتك به، ورأيتني اذيب النفس في اتون الجهاد لتوفير المادة اللازمة له جاهز للطبع، ولئن كنت قد تأخرت الى الآن في نشره فلاني عاجز عن ذلك من الوجهة المادية، فالاعانات التي قدمتها انت لي لم تكف لاكثر من نفقات الرحلة، وامل واحد باق هو اعانة الحكومة التي ما اخالها تضن علي بها اكراماً لك.

وكلمتي الثانية والاخيرة لارباب الشأن ممن اتصلت بهم ورجوتهم امدادي بالمعونة للغاية التي تقدم ذكرها:

انا يا سادة لا اطلب شيئاً لنفسي من بيت مال الامة، فانا في

غنى عن هذا المال اعتاش منه شأن من يعيش على الهامش ، ولكني اطلب ان يؤدى للمغتربين بعض حقهم بنشر المؤلف الذي اذبت قلبي في وضعه عنهم، ومؤلفي هذا خلاصته بين يديكم في هذا التقرير، فتعمقوا قليلا في درس هذه الخلاصة تدركوا اهمية الموضوعات التي عالجتها والافادة الجلى من وراء نشرها ووضعها بين ايدي ابناء البلاد وسواهم ممن يجهلون من نحن في مواطن اغترابنا .

ويتناول مؤلفي ـ فضلا عن ذلك ـ ابحاثاً وطنية عامة يهمكم ولا شك اطلاع المغتربين عليها ، فانا اذ اعالج مثلا نظريات المغتربين المتضاربة في الاستقلال وعهده ، او في حالة البلاد الاقتصادية التي يجهلون في الغالب حقيقتها ، اتناول ذلك بالبحث على ضوء الحوادث والارقام وبما يوحي الي ضميري واخلاصي الوطني .

فالمؤلف الذي سيعرفكم من هم المغتربون ، وما هي حالاتهم وحاجاتهم وآراؤهم الوطنية ، سيعرف هؤلاء ـ في الوقت نفسه ـ ماهي بلادهم في عهدها الجديد الحاضر، وعلى اي الاسس الادبية والاخلاقية والثقافية والسياسية يقوم كيانها .

هذه هي الكلمة التي اردت ان اقولها في مقدمة تقريري ، وهذا التقرير انشره لمناسبة وجود فريق من كرام مغتربينا هنا ، وقد اتوا ينظرون الى المدى الذي انتهت اليه نهضتنا في مختلف النواحي ، ويذكروننا بهم وبما يجب علينا ان نعمل لتوثيق عرى الاخوة بيننا وبينهم .

لقد كنت اود ان تكون هديتي لهؤلاء الضيوف الاخوان مؤلفي كاملا ، فتقر اعينهم وتفرح قلوبهم برؤية هذا المؤلف الفريد الموضوع عنهم ، واذ لم يكن من سبيل لذلك فاني اكتفي بهذا التقرير الموجز اقدمه هدية ، وانا واثق من ان هديتي هذه ـ على ضآلة قيمتها المادية ـ تساوي في نظرهم اكثر بكثير من الهدايا العديدة التي قدمت حتى الآن لهم .

واقطع في الآخر عهداً :

ان المؤلف الذي لم اتمكن الى الآن من نشره ، والذي هو قطعة من قلبي وروحي وكياني ، سأنشره طال ما طال الزمن للادب وللتاريخ ولمجد امتي ، وان لم اتمكن من نشره كاملا فسوف اكتفي بنشر بعضه ، ولا بأس في ذلك لان ما كان من القلب والروح والكيان قل او كثر يظل جوهره واحداً وقيمته المعنوية واحدة .

عبدالله حشيم

التقرير

معالي وزير الخارجية والمغتربين المحترم .

منذ سنتين ونيف غادرت لبنان الى اميركا ، لا كمغترب ضاقت به سبل العيش في ربوع هذا الوطن فراح يرجو في سواه متسعاً لطموحه المادي ، بل كأديب أدى الى الآن رسالته باخلاص ويريد ان يكون الى النهاية مخلصاً في تأدية هذه الرسالة .

غادرت لبنان الى الاقطار الاميركية أنشد مادة جديدة لمؤلف جديد ، وأنا ممن أولعوا بأدب الرحلة الذي تفتقر كل الافتقار اليه مكتبتنا العربية ـ وقد قمت فيما مضى برحلة في أفريقية الغربية ووضعت عنها وعن مغتربينا فيها مؤلفي « في بلاد الزنوج » ـ وكنت على يقين من أني سأجد في رحلتي الاميركية الجديدة هذه المادة اللازمة لاثنين :

١ ـ لمؤلف يحتوي كل جديد وطريف عن عالم يعرفه الكثيرون من أبناء أمتي ، بالنظر الى من لنا فيه من مغتربين ، ويجهله الكثيرون في الوقت نفسه ، من حيث أوضاعه وخصائصه المختلفة ، ومن حيث تطور حالاته وامكاناته الجبارة بالنسبة الى التطور العالمي .

٢ ـ لدروس أضعها عن مغتربينا في ذلك العالم تتناول : تطور

حالاتهم وامكاناتهم المادية والادبية والاجتماعية ، علاقاتهم بوطنهم الام وعلاقات هذا الوطن بهم ، الخدمات التي أدوها والتي في امكانهم تأديتها لوطنهم هذا ، حاجاتهم ومطاليبهم والوسائل التي يجب الاخذ بها لتقريبهم منا ولحملهم على المساهمة في أي عمل تتطلب القيام به نهضتنا الاستقلالية الحاضرة ، الخ ...

وها أنذا أعود من رحلتي وفي حقيبتي من نتائج مشاهداتي ودرسي واطلاعي ما يملأ مجلدات عديدة ، وبانتظار المؤلف الذي أعده للطبع والذي سيكون مرجعاً قيما لكل من يهمه الاطلاع على ما تقدم ، بانتظار ذلك أرى من الواجب يا معالي الوزير أن أخصكم بتقرير واف عن حالات مغتربينا المذكورة ، وعن كل ما يجب لفت نظركم اليه من شؤونهم وحاجاتهم ومطاليبهم ، لعلكم ـ على ضوء ـ تتوصلون الى تنظيم الاعمال التي توثق علاقاتنا بهم لمصلحة الوطن العليا .

من هم المغتربون وما هي دواعي اغترابهم ؟

ان وطناً نصف ابنائه مقيمون ونصفهم مغتربون لا يمكنه ابداً ان يتجاهل الواقع ، فيأبى الاعتراف بنصفه المغترب مهما تكن الاسباب الداعية لهذا ، باعتبار ان لكل مقيم من ابنائه مغترباً هو قطعة من لحمه وفلذة من كبده ، فابعاد هذه الفلذة عن اختها جريمة ترتكب نحو الافراد والمجموع في آن واحد .

فالمغتربون اذن لبنانيون كالمقيمين تماماً ،ولئن كان داعي الكدح وراء العيش حملهم على الاغتراب عن وطنهم ، بعد ان ضاق هذا الوطن عن وسع احلامهم ومطامحهم ، فهذا لا يعني انهم باتوا غرباء عنا وعن الارض التي منها ترابهم ، بل ان اغترابهم عنا وعن هذه الارض للغاية التي اغتربوا لها يعد عملا جهادياً وطنياً محموداً ، لان الافادة منه لم تنحصر فيهم وفي ذويهم المتخلفين افراداً بل تجاوزت ذلك الى مجموعنا اولا ثم الى الوطن الذين كانوا وما يزالون عنصراً قوياً هاماً من عناصر حيويته ونهضته .

ان تاريخ اغترابنا بوجه عام يعود الى ما دون القرن الواحد من الزمن ، ودواعي هذا الاغتراب نحصرها في طلب الرزق ، فطلب الرزق فضيلة من فضائل معرفة الواجب، والتواكل والخمول والجمود رذائل ما استسلم اللبناني لها قط ، ولو ان اللبنانيين المغتربين لم ينتثروا في الارض كادحين ، ولو انهم آثروا شظف العيش في جبالهم على مكابدة الشوق والحنين الى هذه الجبال في ديار اغترابهم ، اذن لكانت النتيجة كما يلي :

تضخم عدد السكان في البلاد الى حد لا تطيق مساحتها الصغيرة احتماله ، فالمليون المغترب الغني القوي الفخور بنفسه وبوطنه في ديار الغربة والذي كان ومايزال معيناً لا ينضب لثروة القرية والمدينة ، وسبباً رئيسياً من اسباب النهضة العمرانية والثقافية والسياسية في البلاد، ذلك المليون المغترب كان يكون الان عالة على القرية والمدينة ، وعنصر فقر

وضعف وهون في كيان الوطن الناهض لحرياته ، ومصدراً لكثير من العلل التي تؤخر نمو هذا الوطن ونهضته العامة .

ويجب الاعتراف هنا بان الاغتراب فرج عن البلاد وافادها افادة جلى : فاموال المغتربين التي عمرت القرية واحيت موات ارضها وسعت نطاق عمران المدينة وقوت امكاناتها المادية ، وتلك الاموال نفسها شقت طريق العلم والثقافة الى القمة فكان ذلك الاشعاع الفكري من المنارة اللبنانية ، وهي هي ايضاً غذت الادمغة والصدور والقلوب بحب التحرر والانعتاق من قيود الاستعمار والانطلاق في دنيا الامل الى المدى الذي تؤهلها له عبقريتها الموروثة .

لذلك قلت ان اولئك المغتربين هم قطعة من لحمنا وفلذة من كبدنا ، واقول ـ وانا مؤمن بقولي ـ انهم شطر الوطن الاعز والاقوى ، فاذا عرفنا كيف نتدبر امورهم ونوثق صلاتنا بهم ونبعد الاخطار التي تهدد هذا الصلات بالقطع ، اذا عرفنا كيف ننظم صفوفهم ونوجههم التوجيه الصحيح الذي حرموا حتى الآن منه ، اذا عرفنا ذلك فحينئذ نرى ان ثروتنا المادية والمعنوية قد تضاعفت ، وان كياننا السياسي قد اصبح له في كل بلد من بلدان الله قوة تحافظ عليه ، واني لمورد فيما يلي الاسباب التي تدعوني الى التمسك بعقيدتي .

العبقرية اللبنانية تشق طريقها

ها أنذا في اميركا اطوي مسافاتها الشاسعة : من البرازيل الى

الارجنتين الى الاوروغواي الى شيلي الى كولومبيا الى المكسيك الى الولايات المتحدة ... اني لاشعر بكثير من الفخر والاعتزاز ، وانا اطوي هذه المسافات على جناح الريح ، لرؤية علمنا اللبناني المحبوب في كل مكان ، هذا العلم الذي رفعه اللبنانيون المغتربون على الأقل في قلوبهم ، قبل ان ترفعه مفوضياتنا وقنصلياتنا على دور اعمالها ، ويذهب بي الفخر والاعتزاز كل مذهب عندما أعلم أي مركز اقتصادي وأدبي واجتماعي يحتله مغتربونا في هذه الاقطار بعد ان شقوا بمجهودهم وعبقريتهم الطريق الى غايتهم المنشودة .

أفراد فقراء ضعفاء غرباء عاثرو الأمل تحملهم البواخر على اخشابها العائمة ، لا يعرف الواحد منهم الى أين هو آت ولا ما ينتظره في هذه الديار من اخطار ، وفاضه خلو إلا من الثقة بالنفس والاتكال على الله ، وذكرى الأهل والوطن تثير الحنين في صدره فيكبت الدمع في هذا الصدر ويمشي ... يمشي الى هدفه الذي لا يعرف اين تبتديء الطريق وأين تنتهي اليه ، يفترش الارض ويلتحف قرها وحرها ويرويها من عرقه ومن دمه ويمشي ... واذا هو يصل الى الهدف الذي ينشده ، واذا هو ملء سمع الناس وبصرهم واعجابهم ، واذا هو عنصر قوي من عناصر نهضة البلاد التي احتضنته ، والتي يحفظ لها الجميل ويعمل لعمرانها ورقيها كأنها بلاده .

قرأت عنوان ذلك في البرازيل ، وتابعت قراءة الكتاب بعدها الى النهاية ... فاللبنانيون ـ وابناء البلدان العربية جميعاً ـ

يحتلون الآن مكانتهم المرموقة بين أبناء هذه المواطن : تجارتهم تقوم على أسس الصدق وحسن التعامل ، وصناعتهم تمثل بشرف وجه تطور جديد في امكانات البلدان التي تقوم فيها للتحرر الصناعي ، وحياتهم الأدبية والاجتماعية تتكيف بصورة جميلة بالرغم من بعض النقائص التي تشوبها ، وشعورهم القومي الفياض يكون قوة خارقة لا ينقصها الا بعض التهذيب والتنظيم والتوجيه لنجترح بها العجائب .

كيف تطورت حياة مغتربينا المادية ؟

لو سألت صاحب الملايين من مغتربينا : « على أي الاسس بنيت لثروتك الحاضرة ، وما هي الطريق التي سلكتها اليها ، وبأي القوى استعنت لتحقيق أحلامك بها ؟ » لو سألته هذا ، لاجابك دون ان يحمر وجهه الخجل : « لقد كانت الكشة المعروفة وحدها أساس ثروتي ، حملتها ومشيت في طريق وعرة لا أعلم الى أين تنتهي ، والقوى التي كانت تسيرني لا استطيع تحديدها لك ، ولكني أقول أنها كانت شيئاً من طموحي الى رخاء العيش ، وشيئاً من حنيني الى الارض التي اغتربت عنها ، وأنا أرجو العود اليها بما يمكنني من قضاء بقية عمري فيها بسلام ، ولك بعد أن تترجم قولي » .

وأنا أترجم القول بما يلي :

ان ذلك المغترب الذي حمل الكشة هو ابن أمة ضربت في الامس البعيد الرقم القياسي بهمتها وبعد طموحها ، والدم الذي يجري

في عروق ابنائهااليومَ هو الدم نفسه الذي كان يجري في عروق أجدادهم. فالتراث القومي هو الذي يدعو الاحفاد الى السير على خطي الاجداد ، وهذا التراث نفسه هو مصدر القوى الخفيـــة والظاهرة التي توجه خطوات مغتربينا في الطريق التي يسلكونها ، الطريق التي جهلوا في البدء مداها والمكان الذي توصلهم اليه ، حتى اذا توغلوا فيها تفتحت عيونهم على ما جعلهم يحسون انهم عرفوها منذ أجيال عديدة ، فهم اليوم يمشون عليها كانهم لم يكونوا غرباء عنها ، او كانها الطريق التي خطتها العناية منذ البدء لهم .

لقد تحولت الكشة في فترة قصيرة من الزمن دكاناً ، والدكان بيتاً تجارياً عامراً بالبضائع ، والبيت التجاري مكتباً للتصدير والاستيراد يعمل فيه عدد كبير من المستخدمين ، وحامل الكشة فيه سيداً يأمر وينهي ويدير كما لو انه كان من أساطين أرباب التجارة والادارة المالية . ويذهب الطموح بهذا السيد كل مذهب ، فيحول الفائض من أمواله الى اقتناء الاراضي والمزارع والاملاك العقارية ، فيخطو بذلك خطوة واسعة الى الاثراء . ويتمادى في جرائته وطموحه الذي لا حد له فاذا هو ينتقل من دنيا التجارة الى دنيا الصناعة، ويجلي في هذه كما جلى في تلك ، واعتماده اولا على نفسه وعلى المواهب الطبيعية والارثية التي رقدت في ذاتيته أجيـالا حتى اذا سمعت نداء اليقظة نفضت عنها غبار الرقاد ومشت رهن أمر صاحبها .

لم أجد في البلدان التي زرتها جميعاً مدينـة أو قرية ذات أهمية

اقتصادية تخلو من « التوركو » أو أبناء العرب المغتربين ـ واكثرية هؤلاء من اللبنانيين والسوريين ـ فهم في أي مكان أرباب المحلات التجارية المزدهرة الاعمال ، ومنازلهم وأبنيتهم من أبدع المنازل والابنية ، وهم حيثما وجدوا أسخياء كرماء على ما يظهرهم بمظهر من تعود العيش بنعمة ، ويكاد وجودهم في أي مكان نزلوه يصبح حجة على الافادة الاقتصادية من نزوله ، ويذكرني هذا بنادرة سمعتها :

راح أحد أرباب الاعمال الكبرى في مكان ما يستشير مرجعاً اقتصادياً عالياً في أمر تأسيس عمل جديد في بعض النواحي ، فهو يود ان يعرف إن كان هناك ما يشجعه على تأسيس ذلك العمل ، فأجابه المرجع المذكور : « لا يمكن ان نجاوبك على سؤالك من الوجهة العملية ، ولكننا ننصح لك بزيارة المكان الذي تريد تأسيس عملك فيه، فاذا وجدت أن أبناء العرب سبقوك اليه فاعلم انه يصلح لاي عمل تجاري تريد القيام به » .

على أنك اليوم تجد غير التجار من أبناء العرب ، تجد الصناعيين الذين يشقون طريقهم الجديدة في دنيا الصناعة بالمهارة نفسها التي شقوا طريقهم بها في دنيا التجارة ، وتجد المزارعين الذين عرفوا ما في أرض ذلك العالم من خيرات فراحوا يصرفون اهتمامهم للاثراء عن طريق المحراث والمعول ، وتجد أرباب المصارف وشركات الضمان والنقل وكبار المساهمين في المشاريع المختلفة .

لم يكن مغتربونا منذ بدء اغترابهم تجاراً فقط ، بل كانوا أيضاً في صميمهم من أبناء أمة بنت للفكر وللادب وللعلم في مختلف ادوار حياتها ، فكان من الطبيعي أن تلمع نجومهم المنتثرة في كل سماء ، وأن يجعلوا من نجاحهم الاقتصادي المادي وسيلة لاظهار مواهبهم الفكرية والروحية ، ومن يطالع تاريخ الأدب العربي الحديث يجد أن مغتربينا هؤلاء هم الذين حملوا مشعاله عبر الصحاري والقفار ، وعلى ضوء هذا المشعال مشت البلدان العربية الناشئة تشق لها طريقاً في دنيا التطور العالمي .

قد يطول الحديث عن كبار أدبائنا وشعرائنا وعلمائنا في ديار اغترابنا ، وأود ان أعتقد أن أسماء هؤلاء الكبار محفورة في قلب كل منا ، نحن الذين نعرف ماكان لنتاج عقولهم النيرة من أثر في تاريخ بعثنا ، وعلى هذا أكتفي بالتلميح اليهم وأنتقل الى القول بأن الرسالة التي أدوها في دنيا جهادهم لم تذهب بذهابهم من هذه الدنيا ، فالطريق التي مشوا عليها يقتفي أثرهم فيها الكثيرون من أبناء أمهم ، ولئن كانت لغة الضاد قد ابتدأت تخلي مكانها لسواها من اللغات لدى هؤلاء فان الشعور القومي الذي تستعمل هذه اللغات للتعبير عنه لا يزال شعورنا ، ولنا أن نوجهه التوجيه الذي يحفظه سليما من كل شائبة ، وأن نستعين به على كل ما فيه خيرنا ومجدنا ، وذلك بقليل من الاجتهاد

والتعمق في درس الاسباب التي تمكن صلاتنا المتراخية بأربابه .

وكما نجد من أبنائنا المغتربين أدباء وشعراء وكتاباً بارزين ، هكذا نجد منهم علماء في مختلف الفنون والمهن الحرة ، فهناك الاطباء والمحامون والمهندسون والمصورون والممثلون والموسيقيون ، ومن هؤلاء من يلمع نجمه عالياً بين زملائه واترابه ، وقد عرفت بنفسي الكثيرين منهم في مختلف الاقطار التي زرتها ، وكم كان اعجابي وعجبي عظيمين وأنا اسمع شهادات أبناء تلك الاقطار نفسها بهم .

واذا تخطيت ميادين ما تقدم من العلوم والفنون الى ميدان علم السياسة وفنها ، ورحت اعدد الافراد الذين نبغوا منهم في هذا العلم ، لوجدتني بحاجة الى مجلد ضخم أجمع فيه اسماءهم ، فكيف لو جئت احلل شخصياتهم المعروفة واضع كلا منها في المكان الذي يضعها فيه كل من عرف مواهبها والصفات العالية التي تمتاز بها ؟

ان اسم جبرائيل طربيه مثلا لا يزال حياً ... وموت الرجل ـ بشهادة أخصامه أنفسهم ـ لم يكن خسارة لكولومبيا فقط بل لاميركا اللاتينية باسرها أيضاً ، ولا أذكر الاسباب التي أدت الى اخفاقه في الوصول الى كرسي الرئاسة الاولى ، ولكني أقول ان هذه الاسباب كانت شيئاً من عناد تغذيه نفس كبيرة ، وشيئاً من معرفة أخصامه السلاح الفعال في محاربته لدى الاكثرية الجاهلة ، وهو مع الاسف اصله اللبناني .

وفي كولومبيا الآن وفي سواها عدد كبير من أبنائنا يحتل

مقاعد النيابة ، ولبعضهم في محيطه نفوذ لا يتمتع به أبناء البلاد الاصليين أنفسهم ، وقد عرفت من هذا البعض من حمل في بدء حياته الكشة ، ثم تخلى عنها لخوض معترك الانتخابات الشعبية فشق فيه طريقه ، ومنهم من يحتل مناصب عالية في الادارة وفي القضاء وفي قيادة الجيوش ، ومن يوجه الحركات الجماهيرية توجيهاً يثير في أكثر الاحيان اهتمام أساطين السياسة .

فى الحياة الاجتماعية وفوائدها العامة

لقد كان طبيعياً ان يفكر مغتربونا في تنظيم حياتهم الاجتماعية ، بعد ان برز افرادهم في دنيا المادة والادب ، وبعد ان تكاثر عددهم في كل بقعة من البقاع التي نزلوها ، فهم الآن بحاجة الى تجمع وتكتل يحمي مصالحهم ـ حيث لا قوة دولية تحمي بصورة جدية هذه المصالح ـ ويسمع صوتهم عالياً للذود عن كرامتهم ، ويجعل منهم قوة لها وزنها في المحيط التي تعيش فيه ، وعلى هذا تنادوا لتأسيس الجمعيات والاندية في كل مكان ، فرأينا جمعياتهم واندیتهم ترافق من جهة سير تقدمهم ونشؤهم ، ومن جهة ثانية سير النهضة القومية في وطنهم الام ، وتؤدي هناك وهنا رسالتها على قدر امكانات اربابها الذين لم يكن في وسعهم ان يعطوا اكثر مما في ايديهم .

اود ان لا اذهب مع العاطفة في تقديري قيمة الحياة الاجتماعية التي بنى لها ابناء وطننا في الغربة ، فنحن معشر لم نبن الى الآن لحياتنا

الاجتماعية في وطننا نفسه على اسس متينة ، ومن كان منا لا يطلب منه ان يبني على غير الاسس التي نبني عليها ... فهناك مثلا داء التنافس الطائفي والاقليمي والتزاحم على الوظيفة ، فرئاسة الجمعية ـ ككل رئاسة سواها ـ كانت وما تزال علة العلل في كياننا الاجتماعي مقيمين ومغتربين ، والتوجيه القومي والوطني يصطدم ابداً بما يعرقل سيره الى المثل الموضوعة له ، ولنا على ذلك عذر اود ان ابينه هنا :

لقد ضرب لنا السيد المسيح مثلا قيماً بحكاية الراعي الصالح وقطيعه ، فكل مجموعة من الناس قطيع يحتاج الى راع صالح يحميه ويوجهه ، ونحن منذ اجيال عديدة محرومون من رعاة صالحين ، وقطيعنا يمشي في ارض كثيرة المزالق والمهاوي ، والذئاب الخاطفة تجوس خلال هذه الارض ، فمن النعاج من يزلق ومن يضل ومن تتخطفه براثن الضواري .

اريد ان اقول ان اوضاعاً سياسية مختلفة مرت بارضنا وحرمتنا كل النعم التي يتمتع بها ابناء الشعوب الحرة ، فالتربية القومية لم نعرفها في البيت ولا في المحيط ولا في المدرسة ، وفي الثلاثة كنا نعيش متفرقين متباعدين متنازعين ، واديانا المختلفة تثير في نفوسنا الضغائن والاحقاد بدلا من عاطفة الالفة والمحبة ، واليد الاجنبية تحث النار كلما مالت الى الخمود في سبيل مصالحها المتباينة ، فلم يكن لنا ان نجمع الكلمة على امر ولا ان نوحد الصفوف لغاية ، واذا نادى فينا مصلح واع ان « اعتبروا واحذروا » امتدت من وراء الستار الف يد تبعدنا

عن مواطن الحذر والوحدة .

ومع كل ما تقدم ـ وبالرغم عن تضعضع بناء مجتمعنا في الغربة ـ نرى ان تجمع ابنائنا هناك في مؤسساتهم المختلفة ادى الى نتائج لا بأس بها ، ويكفي ان يكون قد حفظ لاولئك الابناء شيئاً من وحدة كلمتهم وصفوفهم ، وابقى على بعض الصلات التي تربطهم بعضهم ببعض من جهة وبوطنهم الام من جهة ثانية ، وقد سمعناهم ورأيناهم اكثر من مرة يعلنون الجهاد لنصرتنا تحت الوية تلك المؤسسات ، ويقدمون الاعانات السخية لنا تحت تلك الالوية نفسها ، ولا اغالي اذا قلت ان اصواتهم المتجمعة للمطالبة بحقوقنا في مختلف الظروف والحالات كانت ذات اثر بليغ في التفريج احيانا عنا .

اقول هذا وانا واثق بان مجموعنا المغترب لو وجد من ينظمه ويوجهه توجيهاً صحيحاً موحد الاسلوب والشكل والغاية اذن لتكونت منه قوة يحسدنا عليها الكثيرون ممن هم اوفر منا غنى واكثر عدداً .

ذلك ان تغلغل مغتربينا في نواحي حياة الشعوب التي امتزجوا بها اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً يجعل لهم تأثيراً فعالا في توجيه افكار تلك الشعوب الينا ، وقد رأينا هذه الافكار تغمرنا بفيض من عطف اربابها خلال ازمتنا السياسية الكبرى ـ واعني بها ازمة الاستقلال وملحقاته ـ فاذا بمن يمثل اولئك الارباب ينصرنا في مؤتمرات الدول ضد اخصامنا ، ويصرح بعضهم بان نصرتهم لنا انما هي كرمى لعيون ابنائنا الذين يمثلون عنصراً شريفاً عاملا باخلاص للاوطان التي اتخذوها

اوطاناً ثانية لهم .

لقد كان هذا نتيجة طبيعية لارتفاع اصوات اولئك الابناء المغتربين متجمعة ، وتجمعها انما كان بفضل ما لاصحابها من مؤسسات اجتماعية مختلفة، فهذه المؤسسات اذن ذات اهمية كبرى بالنظر الى مصالح العاملين فيها والى مصلحتنا الوطنية العامة ، وعندي ان اول واهم ما يجب على حكومة العهد الاستقلالي عمله هو اعارة تلك المؤسسات نظراً خاصاً، وصرف عناية مفوضياتها وقنصلياتها في الدرجة الاولى الى رعايتها وحمايتها وحسن توجيهها .

اثر كل ما تقدم في نهضاتنا المختلفة

جاهل او متجاهل من يقول بعد كل ما تقدم : ان المغتربين لم يؤدوا رسالتهم ، ولم يقدموا شيئاً في نهضات وطنهم الام ... واني ملخص فيما يلي الاثر البليغ الذي كان لمجهودهم في مختلف هذه النهضات :

لو وضعنا القرية اللبنانية ـ ومنها خرج معظم مغتربينا ـ نصب اعيننا ، لوجدنا مال المغتربين وعاطفتهم الوطنية في انديتها الخاصة والعامة من المنزل الى الكنيسة الى المدرسة ، كذلك في طرقاتها وحقولها وينابيع مياهها ... ومن القرية تدفق المال والعطف الى المدينة ، ففي هذه المنازل والبيوتات التجارية ومعاهد العلم تتخذ في كل يوم مظهراً تقدمياً جديداً بفضل ذينك العطف والمال، ولا ينكرن احدن أن معظم المصانع الكبرى التي تغذي بعض حاجة البلاد قد انشئت ودارت

دواليب اعمالها بفضلها ايضاً .

وأدبنا المغترب كان وما يزال مدرسة يتأثر نشئنا الطالع بها ، ففي مصر شق أدباؤنا وصحافيونا وأرباب الفن المسرحي منا طريقاً ما نزال نقتفي أثرهم فيها ، وفي أميركا بنى الخالدون من رجالنا بتفكيرهم وأقلامهم هياكل كانت وما تزال من أمتن دعائم ثقافتنا ونهضتنا الفكرية ، وفي أي مكان نرى تراثنا الأدبي ينفض غبار الاجيال ويستعيد سيرته الأولى ، فتكبر به قلوبنا وتعتز نفوسنا وتبدو لنا قيمنا الثقافية فوق ما كنا نتصور ، وفي هذا انعاش لمعنوياتنا التي أوشكت ان تحتضر وحافز أولي لنا على التمسك بالحرية والاستقلال اللذين طالما تصورنا أننا غير أهل لهما بالنظر الى تقصيرنا في مضمار الثقافة العالمية .

ومهما تبد حياة مغتربينا الاجتماعية ضعيفة النشاط والحركة ، ومهما يحاول أرباب المآرب افساد أمورها وغاياتها ، تظل هناك حقيقة لا يمكن انكارها :

لقد تعود العاملون في حقل تلك الحياة أن يلبوا أي نداء يأتيهم منا ، وأن يتناسوا عنعناتهم واختلافاتهم العارضة أمام الواجب الوطني الذي يحسونه ملء عاطفتهم وشعورهم ، ولا بأس في اندفاع بعضهم للقيام بهذا الواجب منافسة لسواه ، فالتنافس على صنع الخير فضيلة ... ومن مراجعة ما قلت سابقاً في حديثي عن حياة المغتربين الاجتماعية يتبين ما كان لهذه الحياة من أثر في بلوغنا الهدف الذي

بلغناه من وراء جهادنا السياسي ، فحياة مغتربينا الاجتماعية اذن قد أفادتنا كثيراً ، وستكون أفادتها أعم متى رعيناها الرعاية الخاصة التي نوهت في حديثي المتقدم بها .

اخطار تهدد صلاتنا بالمغتربين وصلاتهم بنا

ان الخطر الاكبر الذي يهدد صلاتنا بشطرنا المغترب وصلات هذا الشطر بنا انما هو في معاهدة لوزان ... فانا ادعو اولي الامر ممن يغارون على وحدتنا الوطنية الى اعادة النظر في نص تلك المعاهدة الجائرة التي لم تكن لنا يد في وضعها وابرامها ، ونحن في عهدنا الاستقلالي نستعيد حقوقنا المسلوبة حقاً فحقاً ، فهل من حق يوازي ذاك الذي اتفق واضعو تلك المعاهدة على حرماننا اياه ؟

* * *

وهناك خطر الجهل - جهل الواقع الوطني - من ناحياته العديدة فالمغترب الذي نأى عن قريته ومحيطه صغيراً لا يزال يحن الى ذينك المحيط والقرية ويحدث عنهما كثيراً ، ولكن الصورة الباهتة التي يحفظها لهما في مخيلته تؤثر في اكثر الاحيان على تفكيره وحنينه ، فهو يحسب ان الهزال والشحوب والامراض المختلفة التي تركها هنا ما تزال كما هي ، ويرى مظاهر الصحة والعافية والجمال تغمر المكان والمحيط اللذين يعيش فيهما فيصغر وطنه في عينيه ، ويبيت يرى ان عوده الى هذا الوطن مستحيل وبخاصة اذا كان قد اصبحت له عيلة يغار على راحتها

وهنائها .

لقد سألني الكثيرون ممن تعرفت اليهم في رحلتي ان كانت قد اصبحت لنا مدارس ـ غير مدارس تحت السنديانة ـ ومستشفيات وفنادق وملاه كما في سائر بلدان الناس وكانوا يستغربون كلما طرحوا سؤالا من هذا النوع وأجبتهم بالايجاب عليه .

ويشتد استغراب السائلين اذ يسألونك عن النعرات الطائفية ، وعن اقطاعية الزعامات المختلفة، وعن الاستخفاف بالحقوق والكرامات وعن جهل الامة واجباتها العديدة ، وعن الفوضى ... يشتد استغراب السائلين اجل ، اذ يسألونك عن ذلك متشائمين، وتحاول بكل ما اوتيت من صدق وطنية واخلاص ان ترد على الدعايات الخبيثة التي تصور وتجسم لهم ذلك .

هذا من جهة الآباء الذين عرفوا وطنهم صغاراً ، اما الابناء الذين ولدوا في الغربة فتصورهم وطن آبائهم واجدادهم يبكي ويضحك معاً ، فهم اولا يخلطون بين لبنان وسواه من البلدان المجاورة، ويعتقد بعضهم ـ وقد يكون ذلك بتأثير دعايات السوء ـ ان هذه البلدان كلها مواطن لشعوب اولية بدوية ، والصورة التي يرسمونها لها في مخيلاتهم لا تختلف كثيراً عن الصور التي ترسم لبعض بلدان مجاهل افريقيا ، فهم من اجل هذا يكرهون الانتساب الى بلداننا هذه ، ومنهم من يتنكر في بعض الاحيان والمواقف لذويه تهرباً من عار هذا الانتساب.

ولئن كان بعض اولئك الابناء قد ابتدأ يتظاهر الآن بلبنانيته

او بسوريته او بعروبته فالفضل في ذلك يعود الى حوادث الزمن الاخير وبخاصة الى الدوي العالمي الذي احدثه خروج لبنان وسورية من ظلمة العبودية الى النور ، والى المكانة التي احتلها رجالنا الافذاذ في ندوات العالم وفي مؤتمراته الدولية ، فقد كفى مثل هذا الظهور بمظهر الامم الحية ليفتح اعين الكثيرين من ابنائنا المغتربين على شيء من حقيقة وطنهم الاصلي ، فانتعش الحنين انتعاشاً ظاهراً في صدور الآباء ووقف الابناء لاول مرة موقف التقدير والاحترام من حنين آبائهم .

على أن ما ربحناه بفضل ما تقدم نوشك أن نخسره بتأثير دعايات السوء التي تهدف الى تشويه سمعتنا طمعاً بالقضاء على استقلالنا ، فهذه الدعايات الخبيثة تتخذ لها في كل يوم بين المغتربين وجهاً جديداً ولوناً مختلفاً ، ومن أوكارها الخفية تخرج الاشاعات والاكاذيب التي تصور البلاد بؤرة جهل وفساد وفوضى ، وتجعل من رجال سياستها وادارتها «اغوالا» يفترسون على غير شبع أموالها واسباب حيويتها وكراماتها ، فالمغتربون يسمعون ويتساءلون : « أصحيح كل هذا ؟ » واذ لا يجيبهم أحد على تساؤلهم تداخل الخيبة صدورهم ويبيتون على ألم .

ان وضعنا الحاضر في اعتقادي ـ واعتقاد الكثيرين من مغتربينا المفكرين ـ مسؤول عن النتائج المؤسفة التي قد يؤدي بنا تجاهلنا أو تساهلنا من هذه الناحية الهامة اليها .

فما دمنا نعترف بأن لنا شطراً مغترباً لا بد من تمكين صلاتنا به للمصلحة العليا ، وقد أيدنا اعترافنا هذا بالبعثات التي أوفدناها الى

أي مكان لنا فيه مغتربون ، فقد بات علينا أن نجعل من بعثاتنا تلك حامياً ومعلماً وموجهاً ، وان نرد بها وبما نضعه لها من مناهج عملية الاخطار التي تهدد صلات نريد تمكينها بالقطع ، وبخاصة خطر الجهل ـ جهل الواقع الوطني ـ ومن ورائه خطر الدعايات الفتاك الذي لا يمكن رده الا بمنهاج خاص يبطن دعاية واسعة نيرة .

بين جيل وجيل - بداية لا نهاية

أخطيء القائلين ان لبنان المغترب يسير الى زوال ، وحجتهم ان الآباء الذين اغتربوا عن وطنهم الام فتياناً ، وحملوا منه ذكريات تحث نار الشوق والحنين في صدورهم اليه ، يتلاشون الواحد بعد الآخر ، ولن يمضي الا القليل حتى يزولوا ، والابناء يذيبهم المحيط الذي ولدوا فيه ونشأوا ، فهم لا يشعرون شعور آبائهم نحو هذا الوطن ، ولا يحسون أية عاطفة تدعوهم الى الحدب عليه .

ان رابطة الدم ـ والدم لا يتحول ماء ـ يجب ان تراعى ، وفي أي انسان ميل طبيعي للرجوع في بعض الأحيان الى أصله ، ويشتد هذا الميل متى كان هناك ما يذكره بهذا الاصل ، كشخصية الأمة التي انبثقت منها شخصيته ، فاذا كانت هذه الشخصية مما يدعو للافتخار جعلها أبداً نصب عينيه ، وبات طبيعياً أن يغار عليها ولا يرضى الا ان يراها عزيزة ، وأن يهب لنصرتها كلما دعته لذلك .

وقد عرفت ابناء المغتربين عن كثب : عرفتهم في مختلف

طبقاتهم ، فلم أجد فارقاً في الشعور القومي بينهم وبين ذويهم ، الا أن مفاهيم الوطنية عندهم تختلف عنها عند هؤلاء ، فالآباء ينظرون بعين العاطفة الى الوطن الذي عرفوه ، والأبناء ينظرون بعين العقل والمنطق اليه ، واختلاف النظرات يؤدي أحياناً كثيرة الى سوء التفاهم .

والأبناء يجهلون ـ من جهة ثانية ـ كل ما يتطلب العقل معرفته عن هذا الوطن ، وآباؤهم الذين اغتربوا عنه صغاراً ، في حالات وظروف تختلف عن حالاتنا وظروفنا الحاضرة ، يحملون صورة قاتمة مبهمة للنواحي التي يتطلب عقل أبنائهم تفهمها ، وهذا ما أدى الى شيء من التباعد وعدم الانسجام بين الفريقين .

لقد اطلعت بنفسي على وثائق الأعمال التي قام بها ابناؤنا أولئك انتصاراً لقضيتنا الاستقلالية ، وشهدت بعيني ثورتهم الفكرية والعملية أثناء أزمة فلسطين الأخيرة ، فكان ما اطلعت عليه وشهدته في مقدمة الاسباب التي تدعوني الى التمسك بعقيدتي فيهم ، فهم ـ في عقيدتي ـ يملكون من القوى الأدبية والمعنوية ما لا يملك آباؤهم ، وهذا طبيعي بالنظر الى علمهم وثقافتهم وامتزاجهم أدبياً واجتماعياً وسياسياً باعلا طبقات الأمم التي يعيشون فيها .

وعلى هذا اقول : إن لبنان المغترب لم يزل ولن يزول قريباً ، ويمكن بالعكس القول انه الآن في دور بداية ، لأن استقلاله فتح عيون مغتربيه على آفاق جديدة ، ونشوة الفرح والفخر التي أخذت

جيلهم الطالع لهذا الاستقلال ، وتفهم هذا الجيل منذ ذاك شيئاً من روحية قومه وذويه ، واندفاعه المرة تلو المرة لتأييد قضياتنا المتتالية ، كل هذا يدل على ان علاقاتنا بالمغتربين هي اليوم أوثق منها في أي عهد مر ، وفي وسعنا توثيقها الى أقصى حد ممكن اذا نهجنا لذلك النهج الذي سيأتي بيانه .

آراء المغتربين وحاجاتهم ومطالبهم

لقد تعودنا ـ كلما عن لنا أن نخاطب مغتربينا ونتودد اليهم وندعوهم للمساهمة في أي عمل ـ أن نضع خطاباتنا وتوددنا ودعواتنا لهم بصيغة شعرية ، وكثر الدعاة والرسل الذين زاروهم في الآونة الاخيرة بالطبل والزمر ، وراحوا يثيرون شعورهم وعواطفهم بذكرى الكرم والمعصرة والحقل والبيدر ومرقد العنزة ، وهذا حسن ولكن الى حد ... قال لي احدهم مرة : « نحن ان كنا قد اغتربنا فهرباً من الحقل والبيدر والعنزة ، فما بال رسلكم ودعاتكم يلحقوننا بها الى هنا ؟ » . وقال لي آخر من فتياننا ذوي الثقافة العالية :

« ان لبنان آبائنا واجدادنا يختلف كل الاختلاف عن لبناننا نحن ، فالهواء الجيد والمياه العذبة وأنغام الناي ومواويل الميجانا والعتابا التي احتلت مواطن شعورهم ، والتي يخيل لبعضهم انها حجارة رئيسية في بنيان ذلك الوطن ، لا تحتل مكاناً رحباً من مواطن شعورنا .

« فنحن نريد لبنان وطناً واقعياً يبني لنهضاته على الحقائق المعروفة في دنيا اليوم ، وامكاناته ومقوماته الثقافية والاجتماعية والعمرانية والاقتصادية هي التي نريدها ـ ويجب ان تكون ـ اسساً ومادة للبناء ، ويخطيء من يجيئنا بقيثارة داود وأناشيد سليمان لاثارة شعورنا الوطني ، فالارقام التي هي ركن الحضارة في وقتنا الحاضر يجب ان تتكلم ، ولتكن هي الصلة الوثقى منذ الآن بيننا وبينكم .

وفي هذا القول رأي وحاجة ومطلب .

فالمغتربون يرون ان الاوطان لا تبنى على الشعر والعاطفة ، ولبنان في عهده الحاضر اشد ما يكون حاجة الى الاعمال والحقائق ، فمن اراد ان يبني له البناء الذي لا يهدم على هذه فليبن ، وهم على استعداد للمساهمة في اي عمل يرون فيه التجرد والاخلاص للمصلحة العامة .

وحاجتهم اولا وآخراً ان يعرفوا بالارقام ما هي مقومات هذا الوطن وامكاناته واحتياجاته ، ففيه مثلا مرافق وموارد اقتصادية مختلفة يتطلب استثمارها العلم والخبرة والمال ، وعندهم من ذلك ما يكفي لنستغني به عن الغير ، فمن الواجب ان تقوم صلاتهم بنا وصلاتنا بهم على اسس تبادل الآراء والمصالح .

وليست لهم في مقابل ذلك مطامع ، فهم لن يعودوا الى هنا لمزاحمتنا على اية متعة من متع العيش ، وامنيتهم الوحيدة ان يروا وطنهم هذا ابداً في جانب الاوطان الحية ، وان تساويهم في الحقوق لكي يظل لهم من هذه المساواة حافز على القيام بواجباتهم ، وحقوقهم علينا

لا تعدو حد حق الاخ على اخيه ، ولا يباعد الاخ اخاه مهما تكن الاسباب والظروف الداعية لذلك .

واجب الحكومة ورسالة السلك الخارجي

لم يكن اهتمامنا لأمر المغتربين مرة مثله في الاونة الاخيرة ، فمنذ فجر الاستقلال وافكارنا جميعاً حكومة وشعباً متجهة نحوهم ، وفخامة رئيسنا الاول في مقدمة من يعطف عليهم ويرعاهم من بعيد بعينه الساهرة ، وليس ادل على رغبة الحكومة في توثيق صلاتنا بهم من ايفادها بعثات لولاهم لما كان ثمة داع لها ولتحمل نفقاتها .

ولا حاجة للقول كيف استقبل مغتربونا بعثات الحكومة تلك ، وما هي الآمال التي علقوها عليها ، لان اوضاع بلادهم الماضية حرمتهم الملجأ والمفزع الامين في الشدة ، وكانوا على ابواب «الغرباء» غرباء ... فالعهد الحاضر في نظرهم عهد العزة القومية والكرامة ، ورسل هذا العهد يحملون ولا شك لهم اسباب الاعتزاز والفخر ، فهم والحالة هذه يستحقون كل حفاوة .

وبعد الحفاوة حاجة :

لقد كان اولئك المغتربون وما يزالون ـ منذ بدء اغترابهم ـ بحاجة الى من يجمعهم وينظمهم ويوجههم ، فهم في تنظيمهم الاجتماعي القائم يمثلون العيلة والقرية والطائفة ولا يمثلون الوطن ، وهذا التنظيم انما كان في معظمه من صنع افراد لهم اهدافهم وما ربهم الشخصية ،

فبات ضرورياً ان يحل محله تنظيم آخر يذيب الشخصيات في المجموع ولا يبقى بعده اثر لغير المصلحة العامة .

وطبيعي ان ينتظروا ذلك من بعثاتنا ، وان يرقبوا بعده رؤيا الوطن المحبوب في هالة من انوار شخصيته المثلى ، ومما لا شك فيه ان هذا في مقدمة واجبات تلك البعثات ، وان لا الرغبة ولا الاخلاص ولا الارادة تنقص القائمين باعمالها لتأدية رسالتهم ، ولكن ما ينقص هو المنهاج الجامع الذي يعين الواجبات ويوزع مسؤولياتها .

ان من يتحمل مسؤولية يتطلب ان تكون لمسؤوليته حدود يسير ضمنها ويتوقف عندها ، فاذا لم تكن الحدود المذكورة كان له ان يعمل باجتهاده الخاص وضمن حدود يضيقها او يوسعها وفقاً لرغبته واحياناً لمصلحته ، وعمل الموظف باجتهاده الشخصي ـ وضمن الحدود الذي يرسمها لنفسه ـ يتنافى والمبدأ العام الذي ترتكز عليه اعمال الدولة ، لانه يفرض اذ ذاك البلبلة والفوضى في حين ان الانسجام شرط اساسي من شروط المبدأ المتقدم ذكره .

وارى من واجبي ـ بعد ان عرفت المغتربين وحاجاتهم ومطاليبهم معرفة تامة ـ ان اضع للمنهاج المطلوب خطوطاً رئيسية ارجو ان يضعها المسؤولون امامهم ويبنوا للاعمال التي ينتظرها المغتربون منهم ومن بعثاتنا الخارجية المحترمة عليها .

خطوط رئيسية لمنهاج عملي

ان المنهاج الذي ادعو لوضعه على الاسس التالية تشترك فيه : وزارة الخارجية والمغتربين ووزارة الانباء ، والافادة منه لا تنحصر بتعريف المغتربين وحدهم واقع وطنهم الام وامكاناته ومقوماته المختلفة بل تتعدى ذلك ـ ويجب ان تتعداه ـ الى تعريف العالم الذي يعيش اولئك المغتربون فيه من نحن وما هي عناصر حيويتنا ومؤهلاتنا للسير في موكب الامم الراقية التي دخلنا في عدادها منذ ان اصبحنا مثلها اسياد انفسنا :

اولا ـ لنضع نصب اعيننا الخط العريض هذا : ان بيننا وبين شطرنا المغترب بحاراً وقارات ، فالواسطة الوحيدة للاتصال به اذن هي الكتابة ، والكتابة تتطلب اقلام اختصاصيين في الموضوعات التي يحددها الواجب ، وهذه الموضوعات تحدد على ضوء العلم والمعرفة لا ارتجالا ، وعليه ارجو ان ينتقى من يضع المنهاج ومن ينفذه ممن يصح الركون والاطمئنان الى عملهم ومعرفتهم .

ثانياً ـ يتطلب عهدنا الحاضر جمع قوى الامة المتفرقة لمصلحة الامة ، فلكي نعرف وسائل الجمع يجب ان نعرف اسباب التفرقة ، ومن الواجب في الحالين ان نبني معرفتنا على الاسس العلمية الصحيحة ، لا على التأثرات العارضة وما ينتج عنها من انفعال يضيع على الباني القصد وعلى الامة الغاية التي تصبو اليها .

ثالثاً ـ لجمع كلمة الامة وتوحيد مجهودها العملي شروط اهمها التعارف ، فالفرض أن هناك فريقين ـ لا اخوين ـ يودان عقد شراكة لعمل يتطلب ان يتعرف كل من هذين الفريقين اولا الى الآخر ، لأن لا ثقة متبادلة ولا معاملة ثابتة ذات افادة الا بعد تعارف ، فعلى هـذا الشرط يجب ان يتضمن منهاجنا مجهوداً عمليا لتعريف المقيمين من هو شطرهم المغترب وبالعكس ، بحيث لا تبقى بحار وقارات تفصل بين الشطر والشطر الآخر منا .

رابعاً ـ تعود ابناء البلدان التي لنا فيها مغتربون ان يدعوا هؤلاء بالاتراك « توركوس » وكثيرون الى الان لا يعرفونهم الا بهذا اللقب ، وعلة هذا جهل الناس هناك ان في العالم بلداً يدعى لبنان ، ومثل هذا الجهل يؤثر على معنويات مغتربينا كثيراً ، ويجعلهم احياناً يتنكرون لوطنهم الذي لا يعرفون كيف يبنونه ويصورونه لمن يعيرهم به وفي هذا خطر على مصلحتنا العامة من الواجب تلافيه ، وذلك بدعاية خاصة تصور لبنان لجاهليه الصورة التي ترفعه وابناءه حيثما كانوا في عيونهم .

خامساً ـ قلت ان المغتربين يساهمون في اي عمل ندعوهم اليه دعوة رصينة مبنية على الارقام والعلم ، وفي البلاد موارد ثروة عديدة تحتاج الى المال والعلم والتخصص لتظهر ، فعلينا توجيه الافكار الى هذه الموارد بدروس وتقارير يضعها اختصاصيون وتوافق المراجع ذات الاختصاص عليها ، فهذا ينير سبيل اثرياء شطرنا المغترب الراغبين

في العود او في استثمار بعض ثروتهم هنا ، ويدفعهم الى العمل على ضوء ما يكون قد توفر لديهم من معلومات تضمنتها تلك الدروس والتقارير القيمة .

سادساً ـ هنالك دعايات يقوم بها اناس لتشويه سمعتنا ، وغيرها تهدف الى اظهارنا بمظهر الشعب المتأخر ، وذلك بنشرات واشرطة سينمائية تحتوي كل بشع وقبيح من مظاهرنا المختلفة ، ولا تحارب دعاية الا بدعاية مثلها ... واذا بعثنا بنشرات تزينها الرسوم وباشرطة تعرض في الاماكن العامة ، فلنحذر كل الحذر من عرض ما يتصوره البعض شيئاً من تقاليدنا وخصائصنا ، كالرقص والغناء والعزف واللباس ومظاهر الاكل والشرب ، فهذه مما لا يجوز عرضه قبل ان يتعرف العالم الى قيمنا العالية بالنسبة اليه ، او كنا كمن ندعو الناس خصيصاً لاستصغار شأننا والهزء بنا .

سابعاً ـ لنحذر ايضاً البعثات « الادبية » و « الفنية » التي تروح الى المغتربين حاملة كتب التوصية ، على انها تؤدي رسالة الادب او الفن باسم الحكومة او غيرها ، فالمغتربون لا يطيقون بعد قبول هذه البعثات التي تمثل كل شيء الا الفن والادب ، وإيفاد بعثات ادبية وفنية واقتصادية واجب بشرط ان تتوفر في اربابها الشروط اللازمة ، وان تنتقيها وتتولى وضع مناهجها والانفاق عليها الحكومة نفسها .

ثامناً ـ لا بد لمن يضع المنهاج ولمن ينفذه من مراعاة ناحية هامة ، هي ان للمغتربين عقليتين متباينتين ، بالنظر الى تفهم الامور فيما يتعلق

بالوطن الام : عقلية الآباء المحافظين حتى التعصب احياناً ، وعقلية الابناء النازعة ابداً الى التجدد، فمن الواجب ان نقيم حداً بين محافظتنا وتجددنا يقبل به الاولون والآخرون ، كأن لا ندعو الآباء مثلا للتمسك بفضيلة من فضائلنا القومية لا يروق التمسك بها ابناءهم ، فهذا مما يثير الجدل بين الفريقين ويؤدي الى نتائج غير محمودة .

تاسعاً ـ مما لا شك فيه ان المؤسسات الادبية والاجتماعية عناصر حيوية هامة في كيان الامم ، ولمغتربينا من هذه المؤسسات عدد وافر ، على ان القليل من هذا العدد ـ القليل جداً ـ بنى كيانه على أسس قومية او وطنية عامة ، وطابع الطائفة والاسرة والقرية يوشك ان يكون طابع الكل ، فهذه ناحية من الواجب ان تدرس بكل تدقيق ، وأن يوضع مشروع تنظيم اجتماعي خاص تكلف المفوضيات والقنصليات بالدعوة اليه ، على ان يكون تنظيماً واحد السيرة واحد التوجيه .

عاشراً ـ لحسن علاقاتنا المعنوية بالبلدان التي لنا فيها مغتربون أرى أن تبذل عناية خاصة لتأسيس أندية تجمع بين مثقفي شطرنا المغترب وبين من تربطهم بهم صلة الثقافة من أبناء تلك البلدان، وتحمل اسماء كهذه : « النادي الثقافي اللبناني البرازيلي » او « رابطة التعاون الثقافي اللبناني الارجنتيني » او « جمعية أصدقاء الثقافة اللبنانية المكسيكية » على ان توضع الخطوط الرئيسية لهذه المؤسسات بمعرفة وتوجيه المراجع الخاصة هنا ، وتسهر هذه المراجع نفسها على تزويد

القائمين بها بكل ما يحتاجون اليه لتأدية رسالتهم الثقافية من الناحية اللبنانية .

قد اكون اكثرت من الخطوط الرئيسية للمنهاج الذي اقترح وضعه للمغتربين ، على مبدأ توثيق الصلات المتبادلة بيننا وبينهم ، ولكن الأهمية التي أعلقها ـ ويعلقها كل مفكر معي ـ على وضع منهاج كهذا وتنفيذه ، والافادة الجلى التي ينتظرها الوطن المتطلع الى مستقبله بعين الأمل ، تبرر اكثاري من هذه الخطوط .

كلمة معقودة على رجاء

هذا هو التقرير الذي رأيت ـ يا صاحب المعالي ـ ان أرفعه اليكم ، وفرض واجب هذا بعد الرحلة التي قمت بها لخدمة الادب والوطن ، فأديت فيها رسالة وأعود منها لتأدية رسالة .

ورجائي الوحيد ان اكون أحسنت في اختيار رسالتي وفي تأديتها ، لا طمعاً بمغنم أناله او بشكر يسدى الي ، بل ارتياحاً الى كوني قد ساهمت في خدمة وطني ـ عن طريق الادب ـ المساهمة التي يفرضها الواجب .

باحترام كلي .

عبدالله مشيمش

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
(دار الطباعة والنشر اللبنانية)
شارع الارز ـ الصيفي ـ بيروت
١٩٥٠

A U B LIBRARY

DATE DUE

A U B - LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

00290540

CA:
304.82:H969nA:1950:c.1

حشيمة .

نصف لبنان : تقرير موجز عن شطرنا المغترب في اميركا كما عرفته في رحلة ...

CA
304.82
H969nA
1950
c.1

A.U.B. LIBRARY

CA
304.82
H969nA
1950
c.1